أثر الجانب الانفعالي للاغتراب وما ينتج عنه من مراحل تكيف نفسي واجتماعي في تعلم اللغة الأجنبية

د/ ابراهيم حمد القعيد *

تمهيد :

ازداد التركيز في العقود الأخيرة على دراسة العلاقة بين الجوانب الانفعالية في شخصية الانسان وأثرها على تعلم اللغات الأجنبية . وخرج كثير من الدراسات يؤصل أهمية هذا الجانب ويوضح الأثر الايجابي في تحقيق أهداف التعلم والاكتساب اللغوي عندما يحفز الجانب الانفعالي ويؤخذ في الحسبان.

وتمثل تجربة الاغتراب وانتقال متعلم اللغة الأجنبية من موطنه الأصلي الى مجتمع وثقافة اللغة التي يرغب في تعلمها تجربة انفعالية مثيرة لها أثار كبيرة على تعلم واتقان اللغة ، وذلك بسبب مايتعرض له المتعلم من ظروف نفسية ومن مراحل معقدة من التكيف النفسي والاجتماعي في البيئة الثقافية الجديدة . ويلاحظ أن تعلم اللغة الأجنبية في مثل هذه الظروف له غالبا نتائج إيجابية أكثر من النتائج التي يمكن الحصول عليها عند تعلمها في ظروف مختلفة . ويعزى هذا الى الاحتكاك الاجتماعي والالتقاء الثقافي المباشر بمجتمع اللغة المرغوب تعلمها والاضطرار الى استعمال اللغة بصفة مستمرة . ولكن، هل يكفي أن نعزو النجاح في تعلم اللغة الإجنبية في بيئتها الثقافية الى مجرد الحديث عن الاحتكاك بمجتمع اللغة بدون محاولة التعرف الشامل على هذا الاحتكاك ؟ ماطبيعته ؟ وماهي الظروف النفسية والمعرفية المصاحبة للاحتكاك الاجتماعي والالتقاء الثقافي بين متعلم اللغة ومجتمع اللغة الأجنبية التي تجعل من التعلم أكثر نجاحا وتحقيقا للأهداف ؟

تعالج الدراسة الحالية هذه القضية ، وتركز على تحليل العلاقة بين الجانب الانفعالي وتعلم اللغة الأجنبية ، وتأخذ من تجربة الاغتراب والحياة في البيئة الثقافية للغة المرغوب تعلمها موضوعا لدراسة الجانب الانفعالي وأثاره على تعلم واكتساب اللغة، وتستخلص الدراسة من ذلك بعض النتائج فيما يتعلق بتعلم اللغة الأجنبية وطرق تدريسها.

---

*معهد اللغات والترجمة . جامعة الملك سعود .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الى الاجابة عن الاسئلة الآتية :

١- ماأثر الجانب الانفعالى فى شخصية المتعلم على تعلم اللغة الأجنبية واتقانها؟

٢- لماذا يحقق تعلم اللغة الأجنبية فى بيئتها الثقافية وفى الموطن الأصلى لمتحدثيها ، نتائج ايجابية أكثر من النتائج التى يمكن أن تتحقق خارج هذا الإطار ؟

٣- ما نوع العلاقة بين مراحل التكيف النفسى والاجتماعى التى يمر بها المتعلم فى معايشته ثقافة جديدة وبين تعلم اللغة الأجنبية لهذه الثقافة واتقانها ؟

٤- ماهى التوجهات التربوية وطرق التدريس الملائمة التى تساعد على تحفيز الجانب الانفعالى لدى المتعلم ، (وخاصة فى فترة الاغتراب) ، لتعزيز عملية التعلم اللغوى ؟

مجال الدراسة وأهميتها :

تحدد الدراسة مجالها فى تعلم اللغة الأجنبية لغير الناطقين بها عند تعلمها فى بيئتها الثقافية وفى وسط مجتمع المتحدثين الأصليين ، كتعلم الانجليزية فى بريطانيا والفرنسية فى فرنسا والعربية فى مصر والمملكة العربية السعودية ، ومن ثم فالمعالجة والنتائج مرتبطة بهذا المضمون ولا تنسحب على تعلم اللغة الأجنبية خارج بيئتها الثقافية. ولتحقيق أهداف الدراسة والاجابة عن الأسئلة المطروحة تركز الدراسة على المحاور التالية:

المحور الأول : دراسة الجانب الانفعالى وعلاقته بتعلم اللغة الأجنبية ، ويشتمل هذا المحور على دراسات وأبحاث ذات علاقة فى مجال علم اللغة الاجتماعى ، وعلم اللغة النفسى ثم جمعها واستخلاص نتائجها .

المحور الثانى : دراسة وتحليل مفهوم التثاقف فى تجربة الاغتراب وما ينتج عنه من مراحل تكيف نفسى واجتماعى يمر بها متعلم اللغة الأجنبية عند تعلمه للغة فى بيئتها الثقافية وموطنها الأصلى.

المحور الثالث :دراسة وتحليل العلاقة بين مراحل التكيف وتعلم واتقان اللغة الأجنبية.

المحور الرابع : الاشارة الى النتائج التى تم الوصول اليها فيما يتعلق بتعلم وتعليم اللغة الأجنبية.

وتأخذ الدراسة أهميتها من الربط بين الدراسات والأبحاث فى مجال علم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة النفسى وتلك الدراسات والأبحاث فى مجال التثاقف والاتصال الحضارى ، وهى مجالات ثلاثة لها اهتماماتها واتجاهاتها المتباعدة . وقد شجعنى على الربط بين هذه المجالات معرفتى بحكم تخصصى للمجالين الأولين (علمى اللغة الاجتماعى والنفسى) ، واهتماماتى المتزايدة بموضوع تجربة الاغتراب وآثارها النفسية والاجتماعية على الطلبة المغتربين (١) ، وقد وجدت بأن مثل هذا الربط قد يساعد فى تعريفنا على أهم عوامل التعلم اللغوى وأفضل الطرق والأساليب لتعلم وتعليم اللغات الأجنبية فى بيئاتها الثقافية .

ولابد من الاشارة الى أن أغلب البحوث والدراسات العلمية التى ستأتى فى هذه الدراسة كتبت باللغة الانجليزية ، ولقد قمت بترجمة ونقل أهم أفكارها ونتائجها الى العربية ومن ثم قد تكون أغلب النتائج مرتبطة بالانجليزية كلغة أصلية أو أجنبية ، أى أن الدراسات غالبا إما أن تكون قد أجريت على متحدثين أصليين بالانجليزية يتعلمون لغات أجنبية ، أو مهاجرين وطلبة مغتربين يتعلمون الانجليزية كلغة أجنبية فى بيئتها الثقافية ، وبالذات فى الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى هذا عندما نعمم النتائج على متعلم اللغة الأجنبية لابد أن يؤخذ ذلك بالحسبان.

الجانب الانفعالى وتعلم اللغة الأجنبية :

قبل حوالى ثلاثة عقود من الزمن نبه العالم ارنست هلجارد Ernest Hilgard (١٩٦٣) ، المعروف بدراساته حول الادراك والتعلم ، على أهمية الجانب الانفعالى فى العملية التعليمية ، وأكد بأن (ربط نظريات التعلم بالناحية العقلية البحتة مرفوض من أساسه ، اذا لم يؤخذ بالحسبان دور الجانب الانفعالى) (٢) وذلك لأن هذا الجانب وما يدخل فيه من مشاعر وعواطف جزء مهم من السلوك الانسانى ولا يمكن اغفاله والاكتفاء بدراسة الاعتبارات المعرفية .

ويقدم لنا تصنيف بلوم Bloom's Taxonomy (١٩٦٤) الشهير للمجال الانفعالى تعريفا موسعا لهذا المجال وما يمثله من أهمية ، ويتضح هذا التعريف فى المستويات الخمس للمجال الانفعالى التى ذكرها بلوم وهى :

١- الاستقبال ، حيث لابد أن يعرف الشخص البيئة من حوله ويدرك الأحداث والظواهر والناس والأشياء ويكون على استعداد لتحمل المثيرات والتنبه لها .

٢- الاستجابة ، حيث لابد أن ينتقل الشخص من الاستقبال الى الاستجابة ، وتختلف هذه الاستجابة من مستويات دنيا الى مستويات عالية من التفاعل الطوعى والشعور بالرضا عن النفس من جراء الاستجابة .

٣- التقييم ، وهو اعطاء قيمة للأشياء أو الأشخاص أو السلوك . ويعبر التقييم عن آراء ومعتقدات ، وقد يأخذ الانسان بعض الوقت للبحث عن القيم والرغبة فيها وتشكيلها حتى الى مرحلة كمال الاعتقاد .

٤- التنظيم ، وهو تنظيم القيم فى منظومة من المعتقدات وربطها بعلاقات ، وبناء تصنيف هرمى لهذه القيم فى ضوء المنظومة .

٥- فهم الذات فى ضوء منظومة القيم التى شكلها الشخص لنفسه ، حيث يتصرف الشخص بعد ذلك بطريقة منظمة حسب القيم والاتجاهات والمعتقدات والميول التى تشكل فلسفة حياة خاصة (٣).

وإذا كان للجانب الانفعالى أهميته القصوى فى التعليم فان ذلك يصدق على التعلم اللغوى أكثر من غيره من أنواع التعلم لأرتباط اللغة بالسلوك الانسانى . يقول كنث بايك Keneth Pike (١٩٦٧) : (اللغة نوع من السلوك وهى جزء من النشاط البشرى الذى ينبغى ألا ينظر اليه بمنأى عن النشاط البشرى غير اللغوى ، فنشاطات الانسان تشكل كلا مترابطا لايمكن تقسيمها الى أجزاء أو مستويات أو فئات محددة ، ولا يمكن وضع اللغة فى فئة سلوكية معزولة بذاتها ومحتواها ونظامها عن أنواع السلوك الأخرى (٤).

وفى مجال علم اللغة الاجتماعى قدمت لنا الأبحاث الحديثة الكثير من الأدلة والشواهد على أهمية الجانب الانفعالى فى تعلم واتقان اللغة الثانية .

ومن أبرز هذه الأدلة أثر بعض الظواهر الثقافية والاجتماعية ، مثل المسافة الاجتماعية social distance والمسافة النفسية psychological distance والاتجاهات والميول attitudes and interests والحوافز motivations فقد وجد جون شومان John Schumann (١٩٧٦) بأن مدى اتقان اللغة الأجنبية عند تعلمها فى بيئتها الثقافية يعتمد على المسافة الاجتماعية بين ثقافة المتعلم (طالبا كان ، أم زائرا ، أم مهاجرا) وبين ثقافة المجتمع الذى قدم اليه . فاذا كانت ثقافة المتعلم مختلفة كثيرا عن ثقافة المجتمع الذى قدم إليه ، فذلك لايساعد على تعلم اللغة ويؤدى الى صعوبة اتقانها . أما إذا كانت المسافة الاجتماعية قصيرة بين ثقافة المتعلم وثقافة المجتمع الذى قدم اليه لتعلم لغة ، فهذا يساعد على إتقان اللغة ويجعل تعلمها أيسر وأسرع (٥) . وقد شرح شومان بالتفصيل

بعض الأمثلة الافتراضية الجيدة للأوضاع الاجتماعية التى يتم بها التعلم بيسر وسهولة لأنها تعبر عن قرب المسافة الاجتماعية . كما قدم بعض الأمثلة لأوضاع البيئة التى صعب فيها التعلم لأنها تعبر عن بعد المسافة بين ثقافة المتعلم وثقافة اللغة الهدف

وعلى الرغم مما لنموذج المسافة الاجتماعية من قبول ، وما قد يكون فيه من امكانية توفير تفسير معقول لمدى سهولة أو صعوبة تعلم اللغة الأجنبية فى بعض الأحيان، فإن المعضلة التى واجهت الباحثين هى كيفية قياس هذه المسافة الاجتماعية فى عقل ونفس المتعلم (٦) ، فقد يكون هناك متعلم ثقافته تتسم ببعد المسافة الاجتماعية من ثقافة اللغة الهدف (اللغة التى يرغب تعلمها) ولكنه لسبب أو لآخر يشعر بقرب المسافة الاجتماعية بينه وبين الثقافة الأجنبية ، وقد يوجد العكس تماما .

ولقصور نموذج المسافة الاجتماعية فى توفير أداة تفسر بانتظام عملية النجاح فى الاكتساب اللغوى ، اقترح شومان نفسه نموذجا آخر أكثر التصاقا بالجانب الانفعالى للمتعلم أطلق عليه اسم المسافة النفسية ، ويقصد بالمسافة النفسية مايراه الفرد فعليا من مسافة بينه وبين ثقافة اللغة الأجنبية التى يتعلمها . وهذه المسافة ليست بين ثقافتين بل مسافة بين فرد وثقافة . وفى ضوء نموذج المسافة النفسية يعتمد اتقان اللغة الأجنبية على عدة عوامل ترجع للفرد نفسه وليس بالضرورة لثقافته ، من هذه العوامل مثلا مدى التعاطف مع ثقافة اللغة ، ومدى الرغبة فى الاندماج مع المجتمع ، ونوع الاتجاهات التى يحملها المتعلم ازاء المجموعة الثقافية التى يرغب فى تعلم لغتها . وقد اختصر جون شومان نموذج المسافة النفسية وعلاقتها باتقان اللغة الأجنبية بتأكيد على أن مدى اتقان اللغة الأجنبية تحدده درجة الاندماج مع ثقافة اللغة الأجنبية ، بمعنى أنه كلما ازداد اندماج المتعلم مع ثقافة اللغة التى يتعلمها ، أدى ذلك الى اتقانه لهذه اللغة (٧) . وقد طور وليام أكتون william Acton (١٩٧٩) مقياسا اطلق عليه (استبيان قياس الاختلافات المعلنة ؟ Wrofessed Difference of Attitude Questionnaire لقياس المسافة النفسية الفعلية بين متعلم اللغة والمجموعة الثقافية التى يتعلم لغتها ، وأوضحت نتائج دراسته الأهمية البالغة للمسافة النفسية وعناصرها الانفعالية فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية (٨) .

وبالنسبة للاتجاهات والميول وأثرها فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، هناك العديد من الدراسات والبحوث التى تؤكد على أهمية الاتجاهات والميول الايجابية . ومن هذه الدراسات الشهيرة التى أجراها جاردنر ولامبرت Gardner and Lambert (١٩٦٦) على الطلاب الكنديين المتحدثين بالانجليزية والذين يتعلمون الفرنسية كلغة ثانية. فقد وجد الباحثان أن هناك علاقة وثيقة بين مايحمله الطلبة من مشاعر تجاه ثقافة اللغة الأجنبية

وبين اتقانهم لهذه اللغة . فالطلبة الذين أبدوا تعاطفا مع ثقافة الكنديين الفرنسيين وأبدوا استعدادا لفهمها ، وكانت لديهم اتجاهات ايجابية ومشاعر جيدة نحوها ، كان مستوى تحصيلهم للغة الفرنسية مرتفعا واتقانهم لها أفضل (٩) .

وباستعمال عينات من الطلاب الدارسين للغات أجنبية متنوعة ومستويات مختلفة وصل كثير من الباحثين لنفس النتائج (جاكو بوفتس Jakobovits ١٩٧٠، نيلسون Nelson وجاكوبوفتس ١٩٧٠، بيجن Begin ١٩٧١، جاردنر Gardner ١٩٧٥ الملا ١٩٧٩م) .

ويقدم لنا الباحثان السويديان لويس Lewis وماساد Massad (١٩٧٥) دليلا على أهمية الاتجاهات ويربطان ذلك بالعناصر الأساسية الأخرى التى تنبىء عن النجاح فى تعلم الأجنبية ، وذلك فى دراستهما الموسعة التى حللا فيها نتائج تعليم اللغة فى عشر دول ، حيث وصلا الى النتيجة الآتية : يبدو أن العناصر الأساسية التى تعتبر مؤشرات مهمة لتحقيق النجاح فى تعلم الانجليزية كلغة ثانية فى الدول التى تمت دراستها تتمثل فى الوقت المخصص لهذه اللغة والممارسات الفصلية واتجاهات وميول الطلاب نحو اللغة والمجموعة الثقافية التى تتحدثها (١٠) . أما الحوافز Motivations فقد وجد أنها أساس فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية وقوتها لدى المتعلم وأنها مؤشر على زيادة الاتقان اللغوى (سبولسكى Spolsky ١٩٦٩ ، قاردنر وسانتوس Santos ١٩٧٠، لقمانى Lukmani ١٩٧٢ ، قاردنر ١٩٧٥ ، كاتشرو Kachru ١٩٧٦) . ولا أعرف خلافا بين الباحثين حول هذه القضية . وقد يوجد بعض الاختلاف حول أى أنواع الحوافز أكثر تأثيرا من غيرها على عملية الاتقان اللغوى . حيث يصنف الباحثون حوافز التعلم الى صنفين : حوافز تكاملية Integrative Motivations وحوافز وسيلية Instrumental الحوافز الثقافية الاجتماعية (التكاملية) تعنى الرغبة فى تعلم اللغة الأجنبية بسبب الاعجاب بثقافة هذه اللغة أو بهدف الانتماء الى ثقافتها ، والاندماج فى مجتمعها ، أما الحوافز الوظيفية فهى استعمال هذه اللغة كوسيلة لاهداف عملية مثل الحصول على عمل او التخصص فى علم اتقان مهنة او التعرف على ثقافة ، وقد يكون الحافز للتعلم اللغوى مزيجا من النوعين ويطلق عليه الحافز العام (١١) .

هذا فيما يتعلق بأهمية الجانب الانفعالى فى عملية تعلم اللغة الأجنبية والتى أوضحتها النتائج التى قدمتها لنا الدراسات فى مجال علم اللغة الاجتماعى وأثر الظواهر الثقافية الاجتماعية مثل المسافة الاجتماعية والمسافة النفسية والاتجاهات والميول والحوافز. ومن ناحية أخرى تقدم لنا الأبحاث والدراسات الحديثة فى مجال علم اللغة

النفسى مجموعة أخرى من الشواهد على أهمية الجانب الانفعالى فى عملية تعلم واتقان اللغة الأجنبية . ونختار من هذه الأبحاث والدراسات العوامل التالية : جدارة الذات Self-esteem ، الانبساط (الانفتاح الاجتماعى) ، العدوانية ، والمشاركة الوجدانية ، وأثرها فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية.

أما جدارة الذات فنقصد بها (التقويم الذى يضعه الفرد لنفسه ويستمر فى المحافظة عليه ويعبر عن موقف الرضا أو عدمه ، بين حدود ثقة الفرد بقدرته وأهميته ونجاحه وقيمته ، جدارة الذات باختصار هى حكم شخصى عن القيمة التى يعبر عنها الشخص ويحتفظ بها تجاه ذاته ، وهى كذلك خبرة شخصية ينقلها الفرد الى الآخرين من خلال أقواله ومظاهر سلوكه الخارجية الأخرى (١٢) .

وتؤكد المدرسة الانسانية فى التربية على أهمية توفير الاحترام للمتعلم وتحفيزه على التعلم الهادف الفعال عن طريق تدعيم الثقة فى نفسه وتعريفه على مواطن القوة فى شخصيته وتطويرها وتبنى النمو النفسى والعقلى المتوازن .

وتربط هذه المدرسة بين النجاح فى التعلم وبين الثقة فى النفس والصورة الحسنة عن الذات والرغبة فى تحقيق الذات وتميزها (١٣) .

ويدعم كارل روجرز أحد أقطاب هذه المدرسة ، هذه الأفكار النظرية بكثير من الشواهد والأدلة من خبراته فى التعلم ، ويؤكد على أن النظرة الايجابية للذات والشعور بالقيمة بالاضافة الى المشاركة والاهتمام زادت من فرص اكتساب الخبرات التعليمية وتحقيق النجاح فى التعلم (١٤).

وقد دلت الدراسات على أن للنظرة الايجابية للذات والثقة بالنفس واحترامها أثراً ايجابيا فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، ودلت الشواهد على ارتباطات قوية بين النجاح والتعلم اللغوى وبين النظرة الايجابية للذات ، فقد وجدت أدليد هايدى Adelaide Heyde (١٩٧٩) ، على سبيل المثال : أن هناك ارتباطا يجابيا قويا بين ارتفاع مستوى النظرة للذات وبين الأداء الشفوى لطلاب المرحلة الجامعية فى الولايات المتحدة الامريكية الذين يدرسون اللغة الفرنسية كلغة أجنبية (١٥) .

ولقد أدخلت مجموعة من الدراسات مقاييس جدارة الذات كمؤشرات للنجاح فى تعلم الثانية (قاردنا ولامبرت ١٩٧٢ ، برودكى Broodkey وشور Shore ١٩٧٦ كما ادخل جير ترود مسكوتز Gertrude Moskoritz ١٩٧٨ فى منهجه لتعليم اللغة الأجنبية العديد من الأمثلة والأساليب والأنشطة التى تدور حول النظرة الايجابية للذات والتى يمكن للمعلمين اتباعها لزيادة فرص الاكتساب اللغوى لدى الطلاب (١٦) .

أما الانبساط (الانفتاح الاجتماعى) ، ويقابله الانطواء فى شخصية الانسان ، فقد دلت الدراسات النفسية على أن له تأثيراً ايجاباً على عملية التعلم ، حيث وجد أن الشخص المنبسط الذى يميل الى المبادرة فى الحديث وعمل العلاقات مع الآخرين أكثر فرصة للنجاح فى التعلم من الشخص المنطوى (١٧). وقد أشار دوجلاس براون Douglas Brown (١٩٨٠) الى أهمية الانبساط المتوازن (غير المبالغ فيه) فى عملية التعلم اللغوى وامكانية كونه عاملا من عوامل نمو الكفاية الاتصالية Communicative Competence الشفوية العامة فى اللغة الأجنبية والتى تتطلب التفاعل وجها لوجه ، ولكن قد لايكون للانبساط نفس الأثر فيما يتعلق بمهارات الاستماع والقراءة والكتابة (١٨).

وبالاضافة الى ذلك يتبين من الدراسات التى أجريت حول أثر الجسارة فى التعلم بأن الجسارة تمثل أحد العناصر المهمة التى تساعد على التعلم وخاصة لدى الأطفال ، وتعرف الجسارة بطرق مختلفة مثل (أنماط من السلوك الهدف منها .. الاساءة الى الشخص الموجهة إليه) ومثل الاستجابة لمثير يكون الهدف من ورائه الاعتداء ، أو الاساءة أو التخريب) (١٩).

وقد درس لافورج Laforge (١٩٧١) العلاقة بين العدوانية وتعلم اللغة الأجنبية ووجد بأن الجسارة ، عندما استثيرت بين الطلاب فى الفصل الدراسى أدت الى زيادة فرص الاتصال والتعبير عن النفس وتخفيف الدفاعات عن الذات التى عادة ماتعوق الاتصال (٢٠) ، ويؤكد دوجلاس براون بأن هناك شواهد تدل على علاقة الجسارة بالتعلم اللغوى الناجح وبأن الجسارة يمكن أن تكون أحد العناصر التى تحفز المتعلم على تعلم اللغة (٢١) .

وأخيرا تمثل المشاركة الوجدانية أحد الجوانب الانفعالية المهمة فى شخصية الانسان ، والتى لها تأثير على تعلم اللغة الأجنبية ، وتعتبر المشاركة الوجدانية أحد المتغيرات الشخصية التى يصعب تعريفها . ولكن يمكن القول بأنها وضع الانسان نفسه مكان غيره من الناس أو امتداد الانسان خارج حدود ذاته بحيث يمكنه الاشتراك فى فهم مايفهمه الآخرون والشعور بما يشعرون (٢٢) : وقد عرف جيورا Guiora (١٩٧٢) المشاركة الوجدانية بأنها (اقتباس الفهم التى يسمح فيها الصهر المؤقت لحدود الذات ، والتى تمكن الشخص من ادراك عاطفى آنى للخبرة الوجدانية لشخص آخر (٢٣) : كما أكد جيورا على أهمية المشاركة الوجدانية فى عملية التعلم وبأن مباشرة أى مهمة تعليمية : خاصة تعلم اللغة الثانية ، لابد لها من اختراق لحدود نواتنا بحيث نكون قادرين على ارسال واستقبال الرسائل بوضوح (٢٤) . وقد طور مجموعة من الباحثين عدة

اختبارات لقياس المشاركة الوجدانية وطبقوها لاكتشاف صفات المتعلم الجيد للغة (هوجان Hogan ١٩٦٩ ، جيورا ١٩٧٢ : نيمان Naiman ، فروهلخ Frohlich وستيرن Stern ١٩٧٥) ، وانتشرت فى السنوات الأخيرة العديد من الأساليب وطرق التعليم التى تنظم وتقدم دروس اللغة الأجنبية على أساس مشاركة وجدانية عالية . كما يحدث على سبيل المثال فى طريقة التعليم المعروفة بتعلم اللغة الجماعى Community Language Learning التى اكتسبت شهرة واسعة والتى تستخدم فيها مبادىء توثيق العلاقات الانسانية بين مجموعة الدارسين للمساعدة فى تعلم اللغة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قدمت لنا الدراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا والاتصال الحضارى بعض النتائج المثيرة المتعلقة بالجانب الانفعالى للانسان والتى قد تلقى الضوء على تعلم واتقان اللغة الاجنبية وتفسر لنا بعض أسباب النجاح فى هذا المجال ، وسيكون مدخلنا لدراسة هذا الجانب تناول ظاهرة التثاقف وما ينتج عنها من مراحل للتكيف النفس والاجتماعى فى فترة اغتراب المتعلم فى ثقافة اللغة التى يرغب تعلمها .

مراحل التكيف النفسى والاجتماعى :

لتوضيح مفهوم التكيف النفسى والاجتماعى علينا دراسة وتحليل مايعرف بظاهرة التثاقف Acculturation أو (التبادل الثقافى) ، وتعرف هذه العملية على أنها : التبادل الثقافى المشترك الذى يحدث عندما يتصل أفراد من ثقافتين ، أو ثقافات متعددة ببعضهم البعض (٢٥) ، كما تعرف على أنها : النتائج التى تحصل عندما تتوفر الفرصة للاتصال المستمر : والمباشر ، بين مجموعات من الأشخاص ذوى ثقافات متعددة ، وما يتبع ذلك من تغير ثقافى فى احدى هذه المجموعات الثقافية أو فيها جميعا (٢٦) .

وقد خرج مصطلح التثاقف فى الأصل من تقاليد علم الاجناس Anthropology ويقصد به – غالبا – فى الدراسات الحديثة أساليب واستراتيجيات التكيف التى تستعملها بعض المجموعات الثقافية ، والاقليات ، للتعامل مع معطيات الحضارة الغربية .

ودراسة التثاقف بوصفها ظاهرة علمية : بالرغم من نشوئها – كما أسلفنا – فى مجال علم الأجناس ، والتعامل معها كظاهرة تتعلق بمجموعة ثقافية ، الا أنها فى الدراسات الحديثة تشمل أيضا دراسة الأشخاص ، ومدى مايتعرضون له من تأثيرات ثقافية : عند احتكاكهم بثقافة : أو ثقافات مغايرة . من أجل ذلك أصبحت المعالجات والدراسات الموجهة الى ظاهرة التثاقف ذات مستويين : المستوى الأول يتعلق بالمجموعات

الثقافية ، والمستوى الثانى يتعلق بدراسة الأشخاص . وعند الحديث عن الاتصال ، والاحتكاك ، وأساليب التكيف ، والنتائج التى تحمل من جراء ذلك ، فان مايصدق على المجموعة الثقافية (أمة ، جنس : وطن ، مجتمع ، مجموعة) يصدق فى نفس الوقت على الأشخاص (٢٧) .

ويرى جون برى JOHN BERRY (١٩٨٠) أن ظاهرة التثاقف عند حدوثها تأخذ مسارا ذا ثلاثه أطوار ، الطور الأول هو طور الاتصال ، وهو عندما تلتقى ثقافتان أو أكثر ببعضهما البعض عن طريق الاحتكاك المباشر بين الأفراد أو المجموعات ، والطور الثانى هو طور الصراع ، ويحدث بسبب الاحتكاك المباشر بين القيم ، والرؤى المختلفة والمتنوعة ، والتى تميز الثقافات الانسانية بعضها عن بعض والتى تكون الشخصية الانسانية – عادة – انعكاسا لها . وكقاعدة عامة ، فى كل الظروف التى يحصل فيها الاتصال الثقافى ، يقود هذا الاتصال – فى فترة ما – الى نوع من الصراع ، ولكن أبعاد الصراع تكون أعمق ، وحدته أشد ، كلما كانت الثقافتان أو الثقافات المتصلة مختلفة ، أى كلما كانت بعيدة عن بعضها البعض من نواح فكرية ونفسية ، فى نظرتها الى الانسان والكون والحياة . والطور الثالث والأخير هو التكيف ، ويقصد به الطرق المختلفة التى اتبعت لتخفيف حدة الصراع ، أو أدت الى انهائه تماما (٢٨).

والواقع أن الأطوار الثلاثة لظاهرة التثاقف هى أطوار نسبية ، تعتمد على الظروف الحضارية التى يتم فيها الاتصال بين الأفراد والجماعات ، فأقل مستوى من التبادل الثقافى يحصل عندما يكون الاتصال عرضيا : أو لفترة قصيرة وأقوى مستوى من هذا التبادل (وما ينتج عنه من صراع وتكيف) يحصل عندما يكون الاتصال مقصودا ومخططا له ، مثل السيطرة على مجتمع ما بالغزو العسكرى ، أو تغيير سماته ، ومقوماته الأساسية ، عن طريق التعليم ، أو التوجيه بشتى أنواعه ، أو عن طريق استيطان أرضه فترة طويلة من الزمن .

وقد أوضح جون برى JOHN BEERY ١٩٨٠ أربعة أنواع من عمليات التثاقف و تمثل أساليب وطرق ردود الفعل عندما يحصل التبادل الثقافى : وهى التمثل Assimilation والاندماج Integration والرفض Rejection والتفرد Deculturation . التمثل هو الاستسلام للثقافة الأقوى واكتساب انماطها الفكرية والسلوكية والانسلاخ من الميزات الثقافية التى كانت تميز المجموعة أو الفرد ، والاندماج هو المحافظة على نوع من الهوية الثقافية مع التحرك تجاه قبول القيم والتصورات التى تقدمها الثقافة الأقوى . والرفض هو أسلوب الانسحاب والعزلة الفكرية والنفسية بل والعزلة الجسدية فى بعض

الأحيان . والتفرد هو الانسلاخ من الثقافة والهوية الأصلية للمجموعة أو الفرد وضياعها، وفى نفس الوقت رفض قيم الثقافة الأخرى .. أى قطع العلاقات الثقافية (الفكرية والاجتماعية والنفسية) مع كلتا الثقافتين وبالتالى تطوير ثقافة ثالثة مختلفة (٢٩).

وقد وفرت الدراسات التى أجريت على الأفراد والأقيات فى المجتمع الأمريكى : كثيرا من المعلومات والحقائق العلمية ، التى أسهمت فى تعريفنا على ظاهرة التبادل الثقافى ، ومن هذه الدراسات – على سبيل المثال – ما قامت به سوزان كيف SUZAN KEEFE عن جهود فى اكتشاف أساليب التكيف ، التى يستعملها الأسبان الأمريكيون فى حياتهم مع الثقافة ، والمجتمع الأمريكى ، وقد خرجت الباحثة بنتائج أهمها أن عملية التبادل الثقافى بين المكسيكيين الأمريكيين (مجموعة من الأقلية الأسبانية الأمريكية ذات الأصل اللاتينى) وبين المجتمع الأمريكى أفرزت ثقافة جديدة ذات هوية ثقافية مميزة ، ثقافة لاتشابه الثقافة السائدة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنها ليست فى نفس الوقت مثل الثقافة المكسيكية التقليدية ، أى أن محافظتهم على بعض التقاليد والسمات الثقافية لثقافتهم الأصلية ، وامتصاصهم لسمات ثقافية جديدة من مجتمع الولايات المتحدة ، قد أعطتهم شيئا من التميز والهوية المختلفة ، وظهور هذه الهوية المميزة ، عملية اجتماعية معقدة ، أفرزتها عملية التبادل الثقافى ورسم أبعادها الجديدة تداخل عوامل مختلفة ، تتعلق بالاحساس القومى للاقلية ، والمحافظة على بعض السمات الثقافية ، والاستعداد لقبول سمات ثقافية جديدة ، مع الأخذ فى الاعتبار – بطبيعة الحال – مكانة كل من الثقافتين فى الميزان الحضارى والتقدم المادى (٣٠).

ويتضح من نتائج دراسة سوزان كيف أن التوجه فى عملية التبادل الثقافى بين الأقلية المعنية ، والمجتمع الامريكى ، يميل لاسلوب الاندماج . وقد دلت دراسات أخرى على أن تكيف المهاجرين الى أمريكا وأفراد الأقليات الأمريكية ، يخضع – بصفة عامة – لنموذج واحد ، هو الاندماج ، مع اختلاف فى الدرجة والسرعة من شخص الى آخر . واختلاف درجة الاندماج وسرعته قضية تتعلق بتشابك كثير من العوامل الداخلة فى عملية التبادل الثقافى ، مثل الفترة الزمنية التى قضتها أو ستقضيها المجموعة ، (أو الفرد) فى المجتمع الأمريكى ، والتمكن من اللغة الانجليزية ، والأسلوب العقلى ، ونمط الشخصية ، ومدى المحافظة على الهوية الثقافية ، ونوع الاتجاهات نحو المجتمع الأمريكى ، ومدى الشعور بالقلق الناتج عن التبادل الثقافى ، وأخيرا عمر الفرد وجنسه (ذكر أو أنثى) (٣١) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : ماهو موقع الطالب المغترب من معادلة التبادل

الثقافى هذه ؟ وللاجابة على هذا التساؤل نعيد للذاكرة ماأكده جون برى (١٩٨٠) من أن الدراسات والمعالجات الموجهة الى ظاهرة التبادل الثقافى ، ذات مستويين ، المستوى الأول يتعلق بالمجموعات الثقافية ، والمستوى الثانى يتعلق بدراسة الأشخاص ، وأن مايصدق على المجموعة الثقافية (أمة ، جنس : وطن ، مجتمع ، مجموعة) يصدق فى نفس الوقت على الأشخاص منفردين عند اتصالهم بثقافات مختلفة (٣٢).

وقد أجريت دراسات كثيرة حول موضوع التثاقف وآثاره على الطلبة المغتربين الدارسين خارج وطنهم . ويدل العديد من هذا الدراسات التى أجريت فى غضون العقود الأربعة الأخيرة بوضوح على صدق فرضية مايعرف بشكل الانحناء الجرسى فيما يتعلق بالتكيف الذى يمر به الطالب المغترب ، تشير هذه الفرضية الى أن تكيف الطالب المغترب فى الثقافة التى جاء اليها للدراسة يتبع ثلاث مراحل ، لكل مرحلة مظاهرها الخاصة ، فى المرحلة الأولى تتسم مشاعر الطالب بالاعجاب والتفاؤل مشوبة بالتقييم الايجابى لثقافة اللغة الهدف ، فى المرحلة الثانية : تبدأ مشاعر الاحباط وخيبة الأمل من جراء عدم التمكن من تحقيق الأهداف والتوقعات مما يؤدى الى تطوير مشاعر وتوجهات سلبية ضد مجتمع وثقافة اللغة الهدف ، وفى المرحلة الثالثة : يصل الطالب الى نوع من التكيف يسمح له بالاحتكاك والتعامل الفعال مع مجتمع وثقافة اللغة الهدف (سكوت SCOTT ١٩٥٦، موريس MORRIS ١٩٦٠ ، سويل وديفدسن Swell and Davidsen ١٩٦١، ديموز DEMOZE ١٩٧٦ ، فاهر لاندر FAHRLANDER ١٩٨٠ ، شاندير Shandes ١٩٨١) .

وبالرغم من تشابه هذه المراحل الا أن الزمن الذى يكفى للمرور بها يختلف من طالب الى آخر ، حسب نوع شخصيته ، والظروف التى يعيش فيها (٣٣) .

وتعتبر الدراسة التى قام بها سول وديفدس Swell and Davidsen , 1961 من أهم الدراسات فى الميدان ، وتقدم الكثير من التفصيلات حول فرضية الإنحناء الجرسى، وقد استغرقت الدراسة أكثر من سنتين ، تتبع فيها الباحثان أربعين طالبا من اسكندنافيا ، قدموا للدراسة فى جامعة وسكانسون الأمريكية ، وكان الهدف من الدراسة معرفة التغيرات فى السلوك ، والاتجاهات التى تحدث لهؤلاء الطلبة ، من جراء حياتهم ، وتعاملهم مع المجتمع الأمريكى ، وقد تم جمع الكثير من المعلومات التى تتعلق بخلفية الطلبة الاجتماعية ، وتجاربهم ، ومشاعرهم نحو الأمريكان ، وطرق تعاملهم مع المحيط الاجتماعى من حولهم ، عن طريق المقابلات الشخصية وتعبئة استبيانات نموذجية ، كل عدة أسابيع ، وعن طريق التقارير الدورية التى كتبها الأساتذة الأمريكان المشرفون على

دراستهم ، وبعد تجميع المعلومات ، وتحليلها ، وتصنيفها ، استنتج الباحثان مرور الطلبة بثلاث مراحل من التكيف ، كما يتضح من التفصيل الآتى :

١- تأثر الطلبة كثيرا فى الأسابيع الأولى من قدومهم بالطريقة السريعة التى يبنى بها الأمريكان صداقاتهم مع الآخرين ، كما أعجبوا بحسن الضيافة التى قوبلوا بها ، مما أدى بهم - بصفة عامة - الى تكوين مشاعر حسنة تجاه الأمريكان .

٢- بدأ الطلبة ، بعد عدة أسابيع من حياتهم فى أمريكا ، فى تقليص علاقاتهم الاجتماعية بالأمريكان ، وبدأت المشاعر الحارة المتحمسة التى شكلت فى الأسابيع الأولى بالاختفاء ، وبدأوايتحدثون عن سخطهم ، واستيائهم من الطريقة التى يبنى بها الأمريكان علاقاتهم الاجتماعية ، كما يتحدثون عن سطحية هذه العلاقات ، ويعبرون عن شكوكهم فى مدى مصداقية واخلاص مثل هذه الصداقات التى تبنى على الطريقة الأمريكية ، وقد أدت هذه المشاعر الى نوع من خيبة الأمل ، ونوع من الانسحاب من الحياة الأمريكية. ويكاد يكون هناك اجماع بين الطلبة على الاحساس بالمرور بهذه المرحلة النفسية والشعور بأثرها القوى فى الشخصية ، على عكس المرحلة الأولى التى قد يكون الاحساس بها أخف .

٣- بعد عدة أشهر طرأت بعض التغيرات على نظرة كثير من الطلبة للحياة الأمريكية ، حيث وصل هؤلاء الى قناعات خاصة ، بتميز العلاقات الاجتماعية الأمريكية ، وبوجود كثير من الجوانب الايجابية فيها ، وبمرور الزمن بدأ هؤلاء الطلبة فى بناء صلات قوية ، وصداقات طويلة الأمد ، مع الطلبة الأمريكان ، ومع الأساتذة فى الجامعة ، وحتى مع مواطنين من خارج البيئة الجامعية ، وبعضهم تعرف على عائلات أمريكية ، وقام بزيارتها باستمرار ، كما وصلت الرغبة فى الاندماج عند البعض ، الى الانضمام الى جمعيات طلابية أمريكية ، فى الحرم الجامعى ، والوصول فى بعض الأحيان الى مراكز قيادية فى هذه الجمعيات . وتتميز هذه المرحلة التى يمر بها الكثير من الطلبة بتكوين مشاعر ايجابية تجاه الحياة الأمريكية .

واذا كانت ردود الفعل فى المرحلتين الأوليين متشابهة الى حد كبير ، فان ذلك لاينطبق على المرحلة الثالثة ، حيث وجد الباحثان ردود فعل متفاوتة تختلف من طالب الى آخر ، ومرد هذا الخلاف يرجع الى دخول عوامل كثيرة تتعلق بشخصية الطالب نفسه ،

وعمره ، ومدى مرونته فى التعامل مع البيئة الجديدة . وتقويمه للثقافة التى يحملها .. الى غير ذلك من العوامل . (٣٤).

وفى ضوء هذه الدراسة التتبعية التى استغرقت - كما أسلفنا - سنتين ، تم خلالهما رصد التحولات فى سلوك واتجاهات الطلبة الاسكندنافيين ، الدارسين فى جامعة أمريكية ، لاحظ الباحثان أن ردود فعل الطالب عند حياته فى الثقافة الأمريكية ، والتحولات فى سلوكه ، واتجاهاته ، كانت متأثرة بالطريقة التى يرى ويقوم بها نفسه ، وبالطريقة التى يرى ويقوم بها ثقافته ، وكانت متأثرة كذلك بفكرة الأمريكيين عن الطالب شخصيا ، وعن الثقافة والبلاد التى ينتمى اليها .

وتتوافق نتائج دراسة كورا دوبوا Cora Du Bois مع نتائج الدراسات السابقة ، إلا أنها تزيد مرحلة رابعة حسب التصنيف الآتى :

١- مرحلة المتفرج ، وتستغرق من أسبوعين الى شهر وهى معروفة بأنها مرحلة اكتشاف المحيط الذى يعيش فيه الطالب والتعرف على المظاهر السطحية لجوانب الحياة الأمريكية.

٢- مرحلة التكيف مع الحياة ، وتبدأ هذه المرحلة عند أغلب الطلبة عندما تبدأ الدراسة ، وتستمر لمدة شهور وهذه المرحلة تكون -عادة - مليئة بالمشكلات مثل مشكلة اللغة ، ومشكلة التعرف على النظام التعليمى الأمريكى ، ونوع الاختبارات ، والمتطلبات الدراسية ، ومشكلات فهم ، وبناء العلاقات مع الطلبة والاساتذة الأمريكان .. الخ .

٣- مرحلة التعود وقبول الحياة ، تبدأ هذه المرحلة عند أغلب الطلبة بعد انقضاء ستة الأشهر الأولى من الحياة فى أمريكا ، يعتبر الطالب قد ألف الحياة الاجتماعية : وتعود عليها : وأصبحت لديه حصيلة مناسبة من المعرفة الاجتماعية والاكاديمية .

٤- مرحلة ماقبل الرجوع الى الوطن ، وتتميز هذه المرحلة عند أغلب الطلبة بتشكيل اتجاهات ايجابية عن الحياة الأمريكية وبميول واضحة نحو الاندماج فيها .(٣٥)

وبناء على ماسبق من الدراسات العلمية نقدم طرحا نعتقد أنه يمثل رؤية واضحة عن المراحل التى يمر بها الطلبة المغتربون فى تكيفهم النفسى والاجتماعى ، ونأمل أن يلقى هذا الطرح الضوء على طبيعة هذه المراحل ، والفترات التى تستغرقها ، والضغوط والمؤثرات الفكرية والسلوكية التى تتركها على شخصية الطالب ، ويتخلص التصور الذى

نطرحه بمرور الطالب بأربع مراحل متتابعة من التكيف هى :

١- مرحلة الانبهار .

٢- مرحلة الصدمة الثقافية .

٣- مرحلة التكيف الجزئى.

٤- مرحلة التكيف النهائى .

١- مرحلة الانبهار :

وهذه المرحلة هى بداية الاتصال الحضارى المكثف ، بين الطالب المغترب والثقافة الغربية ، وتتميز عادة بمظاهر الاستغراب والانطباعات السريعة لدى بعض الطلبة يشوبها شئ من السعادة والاطراء لهذه الثقافة الجديدة ، وأهم مميزات هذه المرحلة أن انطباعات الطالب وعملياته الاستكشافية تتسم بالسطحية . ولاتتعدى المظاهر الخارجية ، وتتردد على لسان الطالب فى هذه المرحلة عبارات المديح لكثير من اخلاقيات الثقافة الغربية (لما قد يراه من حسن المعاملة والأدب الاجتماعى) وللانجازات المادية لهذه الثقافة (لما قد يراه من اجازات حضارية وتوفر للخدمات) .

وقد أوضح كلارك Klarke ١٩٧٦ بعد دراسته لهذه المرحلة أن مظاهر مرحلة الانبهار تكون أكثر وضوحا عند أولئك الطلبة الذين يأتون الى الثقافة الغربية من مجتمعات أقل تقدما ماديا (٣٦) .

وتأخذ هذه المرحلة فترة قصيرة نسبيا اذا ماقورنت بمراحل التكيف الأخر حيث تتراوح : كما أفادت دراسة سول وديفسن بين أيام قليلة وعدة أسابيع ، ولكنها على أية حال ، كما يستنتج من دراسة فرانكلين سكوت ، لا تستمر أكثر من شهر .

٢- مرحلة الصدمة الثقافية :

تتضح هذه المرحلة - عادة - عندما يكتشف الطالب الفروق الثقافية بينه وبين البيئة الثقافية الجديدة : وقد أشارت الدراسات التى أثبتت فرضية الانحناء الجرسى فى التثاقف الى هذه المرحلة : وفصلت دراسة سول وديفدسن السالفة الذكر الحديث عن بعض أبعادها : فقد وجد أنه على الرغم من عدم البعد الثقافى بين الاسكندنافيين والأمريكان ، فان الطلبة الاسكندنافيين بعد مرور عدة أسابيع من قدومهم الى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة ، بدأوا يقلصون علاقاتهم الاجتماعية بالأمريكان : ويفقدون

ذلك الحماس والتقويم السطحى للمظاهر الاجتماعية فى الحياة الأمريكية ، كما أنهم بدأوا يعبرون عن استيائهم : وعدم اطمئنانهم لكثير من الانطباعات التى شكلوها فى بداية قدومهم .

وتكاد الدراسات حول هذه المرحلة تتفق على طبيعة الظروف النفسية والاجتماعية التى ترتبط بها وبأنها أصعب المراحل التى يواجهها الطلبة .

وقد عبر بيتر ادلر Peter Adler ١٩٧٢ عن جوهر الصدمة الثقافية على « أنها نوع من القلق الناتج عن فقدان المعايير الاجتماعية التى تعود عليها الفرد، ويعكس الفرد الذى يعانى من الصدمة الثقافية قلقه وعصبيته من الفروق الثقافية من خلال عدد من الأساليب الدفاعية كالكبت والنكوص والانعزال والرفض : وتتجلى هذه المواقف الدفاعية سلوكيا من خلال شعور خفى من الخوف وعدم الاطمئنان يتجسد فى الوحدة والغضب والاحباط والتشكيك فى المقدرة الذاتية ، وفى غيبة المعينات ومفاتيح الفهم الثقافى التى ألفها الفرد فى ثقافته الأم ، يصبح غير متكيف ويعتريه الخوف والاستغراب للأشياء فى الثقافة الجديدة » (٣٧) .

ويصاحب الصدمة الثقافية – غالبا – تكوين كثير من الاتجاهات والانطباعات : تختلف عن تلك التى كونت فى البداية (فى المرحلة الأولى) . فيصاب الطالب بكثير من الاحباط ، لفقدان كثير من توقعاته التى بناها قبل قدومه : ولادراكه لسطحية الانطباعات التى تركتها أيامه الأولى فى هذه البيئة الجديدة ، وفى بعض الأحوال النادرة يصاحب هذه المرحلة من التكيف أعراض مرضية : تتخذ شكل آلام فى الرأس والمعدة : كما أشار الى ذلك دوجلاس براون Doglas Brown ١٩٨٠ (٣٨) . أوبعض المشاكل النفسية ، التى تتميز بالعديد من أنواع السلوك الشاذ : والشعور بالهامشية ، كما أثبتت ذلك دراسة لزابوزنك وزملائه Szapoxznik ١٩٨٠ (٣٩) .

ويلاحظ أن الطالب فى هذه المرحلة يبحث عن المساعدة عند أبناء وطنه ، الموجودين فى منطقة دراسته ، وقد يختار العزلة ، وربما تردد على لسانه عبارات الاستياء ، بل ان حالته قد تزداد سوءا لعدم استطاعته التكيف مع هذه البيئة ، مما قد يؤدى به الى التفكير جديا فى الرجوع الى أرض الوطن ، وقد ينساق الى ذلك فعلا .

وتشير دراسة قام بها قسم الشئون الاجتماعية فى الملحقية الثقافية السعودية فى الولايات المتحدة الامريكية : الى أن هناك ٨٠ طالبا سعوديا مبتعثا فضلوا قطع دراستهم : والعودة الى المملكة فى الفترة من مايو ١٩٧٩ م الى يونيو ١٩٨٠ م : وأن ١٨ طالبا منهم (أى ٥ر٢٢ ٪) من مجموع الحالات عادوا الى الوطن لأسباب نفسية ،

واضطرابات عقلية (٤٠) .

وليس فى الامكان تحديد الفترة الزمنية التى تستغرقها هذه المرحلة بدقة ولكنها بصفة تقريبية تتراوح بين عدة أسابيع وعدة أشهر : وهى عند أغلب الطلبة لاتزيد على ستة أشهر (٤١) .

٣- مرحلة التكيف الجزئى :

ان وضع الطالب وشعوره بأنه أصبح جزءا من البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة ، يفرض عليه كثيرا من عمليات التكيف الاجتماعى والنفسى بحيث يتمكن من العيش بسهولة : كما يفرض عليه كثيرا من عمليات التكيف الأكاديمى مع نظام التعليم الذى قدم اليه من أجل التحصيل العلمى : وبذلك يبدأ مرحلة التكيف الجزئى ، وهى بداية التعامل الفعلى مع البيئة الجديدة ، وفى هذه المرحلة يتم التكيف التدريجى شيئا فشيئا : وتبدأ بعض المشاكل التى تعرض لها الطالب فى مرحلة الصدمة الثقافية فى الاختفاء ، كما أن الأعراض الخاصة بالمرحلة السابقة تبدأ فى الاضمحلال . ويبدأ الطالب فى اكتساب بعض المهارات الجديدة : التى ستلعب دورا كبيرا فى تطور شخصيته ، وبناء مواقف جديدة تجاه المجتمع الغربى : تعتمد على فهم وادراك أكثر لمسلماته الثقافية . وتشير الدراسات الى تنوع أساليب التكيف وتذبذبها فى هذه الفترة بين أسلوب الاندماج (الميل الى التقليد لثقافة اللغة الهدف) . وأسلوب الرفض (العزلة وتطوير مشاعر سلبية) وأسلوب التكيف المتوازن (فهم ثقافة اللغة الهدف والتعامل معها بمرونة واستقلال وحفظ للهوية الشخصية) .

ان مرحلة التكيف الجزئى - بأساليبها الثلاثة - هى نتيجة للصدمة الثقافية ، وهى بداية للمرحلة الأخيرة من فترة الاغتراب : ومن الصعب تحديد فترة زمنية لهذه المرحلة ، ولكن أغلب الطلبة يمرون بها قبل نهاية السنة الأولى من قدومهم (٤٢) .

٤- مرحلة التكيف النهائى :

وفى هذه المرحلة يكون الطالب قد طور مهارات للتعامل مع البيئة الجديدة ، بعض هذه المهارات يتعلق بالتعامل مع النظام التعليمى واجراءته ومواده ووسائله ، والبعض الآخر من هذه المهارات يتعلق بتطور معرفته لجوانب كثيرة من ثقافة اللغة الهدف : ويكون الطالب أيضا قد طور كثيرا من العلاقات الاجتماعية مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه حسب أسلوب التكيف الذى اختاره فى المرحلة السابقة .

وعلى كل حال : مهما يكن أسلوب التكيف ، فان هذه المرحلة من حياة الطالب فى المجتمع الغربى تخلق أبعادا جديدة فى شخصيته ، كما أشارت الى ذلك دراسات كل من رتشارد تافت R.Taft ١٩٧٧ : وسوزان كيف S,keefe ١٩٨٠ : وزابوزنك وزملاه Szapooznik et al ١٩٨٠ ، وهذه الأبعاد تتمثل فى أنه لم يعد ذلك الانسان الذى قدم من بلاده بسبب نتائج الاتصال الحضارى على شخصيته ولاكتسابه مهارات ومعارف جديدة فى علاقته مع البيئة الثقافية الغربية : لكنه لايشترك على أية حال من الأحوال فى جميع السمات الثقافية المميزة للفرد الغربى .

ومفهوم الأبعاد الشخصية الجديدة (تسمى فى بعض الدراسات بالانسان الجديد) ليست خاصة بالطالب المغترب : بل انها تنطبق على أى انسان ينتقل من بيئة ثقافية اجتماعية : الى بيئة أخرى ، ويتعرض لمراحل التكيف المذكورة.

بينا فيما سبق المراحل الأربع : التى يمر بها الطالب المغترب فى البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة التى قدم اليها للدراسة ، وهذه المراحل هى مرحلة الانبهار ، وتتسم بتشكيل انطباعات سطحية عن البيئة الجديدة ، ومرحلة الصدمة الثقافية التى يشعر بها الطالب نتيجة لادراكه الفروق بين ثقافته والثقافة الجديدة : ثم مرحلة التكيف الجزئى حيث تبدأ تجارب الطالب للتعامل مع البيئة الجديدة ، ويحل الطالب فى هذه المرحلة بعض مشاكله وتبقى مشاكل أخرى : كما يختار فيها أسلوب التكيف الذى يتعامل به مع الحياة الاجتماعية لحل هذه المشاكل : اما بالاندماج أو التكيف المتوازن أو الرفض . واخيرا مرحلة التكيف النهائى حيث يبدأ الطالب فى الاستقرار النفسى فى حياته فى مجتمع الغربة : وتتسم هذه المرحلة بالتميز فى شخصية الطالب وتكوين اتجاهات وميول جديدة ، كما تعرف هذه المرحلة بظهور ابعاد جديدة فى شخصيته نتيجة لطبيعة اسلوب التكيف الذى اتخذه للتعامل مع البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة .

وهذه المراحل الأربع فى التكيف تكون دائما متتالية : لكن مدى ادراك الطالب لها : والوقت الذى يأخذه فى الانتقال من مرحلة الى أخرى هما مسألة نسبية ، فبينما يتمكن أحد الطلبة من تخطى هذه المراحل بسرعة (من عدة اسابيع الى عدة أشهر) مع احساس خفيف ببعض مظاهر الصدمة الثقافية ، قد تأخذ هذه المراحل وقتا أطول يمتد لأكثر من سنة عند البعض الآخر وتكون المعاناة قوية ومؤثرة .

مراحل التكيف النفسى والاجتماعى وعلاقتها بتعلم واتقان اللغة الأجنبية :

مما سبق يتبين ما للجانب الانفعالى من أهمية بالغة فى عملية تعلم واتقان اللغة الأجنبية : كما يتبين ما تمثله مراحل التكيف التى يمر بها الطالب عند بدء حياته فى ثقافة ومجتمع اللغة الهدف من تأثير على شخصيته ، والسؤال الآن : ماهى علاقة تعلم واتقان اللغة الأجنبية بمراحل التكيف المشار اليها ؟

ترى سالى متلر Sally Mettler ١٩٨٧ بأن امام متعلم اللغة الأجنبية ثلاثة حواجز رئيسية : الحاجز اللغوى ، والحاجز السلوكى ، والحاجز الثقافى : أو حاجز الانتماء . الحاجز اللغوى هو التفاهم اللفظى باللغة الأجنبية ، والحاجز السلوكى هو تعلم الأدوار الاجتماعية وطريقة التصرف المقبولة فى المواقف الحياتية فى ثقافة اللغة وتعلم العادات والتقاليد . والحاجز الثقافى ، التكيف مع انماط ثقافية جديدة والمكافحة من أجل حفظ هوية ثقافية مميزة : ويؤكد متلر بأن الفرضيات الأساسية الثلاث لتفسير عملية تعلم واكتساب اللغة (المتعلقة بالحاجز اللغوى) وهى فرضية اللغة البينية وفرضية نموذج المراقبة وفرضية التهجين ، كلها فرضيات تعتبر قضية التثاقف فيها قضية مركزية : ومن ثم فعملية اكتساب اللغة ماهى فى واقع الأمر سوى عملية تثاقف مع بيئة جديدة (٤٣) .

ويقدم كلارك Klarke ١٩٧٦ طرحا شيقا للعلاقة بين مشكلات الطلبة المغتربين الدارسين فى الولايات المتحدة وبين تعلم الانجليزية ، مؤكدا بأن مرد المشكلات هو عدم مقدرة الطلبة على فهم المحتوى الاجتماعى للغة : فالطالب مثلا لايعرف أو يقدر معنى الوقت والمال والفراغ وأسس بناء العلاقات الاجتماعية فى الثقافة الامريكية أى لايعرف الثقافة التى تعيش فيها اللغة : وربط كلارك اتقان اللغة الانجليزية بمدى الفروق فى التقدم المادى والصناعى بين بلد الطالب الأجنبى والولايات المتحدة ، فكلما قرب بلد الطالب من التقدم المادى (حسب المعايير الثقافية الغربية) كلما قلت عمليات التكيف النفسى للطالب ، وكلما ابتعد بلد الطالب عن المقاييس والمعايير المادية والصناعية الأمريكية كلما كثرت عمليات التكيف النفسى للطالب ،، وهذا يعنى أن قلة المشاكل ويسر التكيف تجعل الطالب يتقن اللغة بسهولة بينما تحول كثرة المشاكل وصعوبة التكيف الشخصى والاجتماعى دون التعلم اللغوى الناجح (٤٤) .

ويلقى جيورا Guiora ١٩٧٢ الضوء على ماأسماه بالأنا اللغوى عند الانسان وبأنه جزء لايتجزأ من شخصيته ، تزامن تشكله وتطوره مع الأجزاء الأخرى فى الشخصية

لدرجة أنه أصبح جزءا أساسيا من الهوية الشخصية والنظرة للذات ، وبما أن تعلم لغة أجنبية يشتمل على أنا لغوية مختلفة (بسبب الاختلاف الثقافى) : أصبح التعلم بمثابة تحد للأنا اللغوية الأولى ، ومن ثم يميل الانسان لوضع الدفاعات والكوابح امام الأنا اللغوية الجديدة لما تمثله من تهديد لشخصيته ، وهذا يؤدى الى العزلة والارتباك والتردد وخاصة بالنسبة للكبار الذين نموا وترعرعوا بأمان فى هويتهم الثقافية ، ويحذر جيورا من تطور صراع الهوية لدى المتعلم وما قد يجره من مشكلات فى التكيف وفشل فى التعلم اللغوى (٤٥) .

وعند اعادة قراءة نتائج الدراسات حول تعلم اللغة الأجنبية التى أجريت خلال العقود الماضية نجد أن بعض هذه الدراسات تلمح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى علاقة تعلم اللغة الأجنبية بمراحل التكيف التى ذكرناها ، ويستثنى من ذلك المرحلة الأولى : مرحلة الانبهار حيث لايتوافر عنها دراسات يمكن الرجوع اليها . ولكن يمكن القول بأن الانبهار والاعجاب السطحى بثقافة اللغة فى الأسابيع الأولى من قدوم الطالب قد يشكل نوعا من الحافز للتعلم اللغوى : وعند تشكل مثل هذا الحافز لاشك أن ذلك سيمثل أرضية ملائمة لمتابعة المهمة الشاقة للتعلم اللغوى .

أما الصدمة الثقافية فان تأثيرها على التعلم اللغوى شديد الوضوح : وقد شبه مارك كلارك ١٩٧٦ تعلم اللغة والثقافة الثانية فى مرحلة الصدمة الثقافية بما يشبه انفصام الشخصية (والتى تصبح فيها اللقاءات الاجتماعية مصدر تهديد وخوف دائمين تستخدم أساليب الدفاع للتخفيف عن صدمتها) . ويعتقد كلارك بأن انفصام الشخصية مظهر من مظاهر الصدمة الثقافية عند تعلم اللغة : وهى مرحلة حاسمة للغاية يتحدد من خلالها مصير المتعلم ، فأما ينجو بتخطيها أو يغرق (٤٦) . يقصد إما ينجح فى انجاز التعلم أو يفشل وينسحب من المهمة بدون تحقيق انجاز يذكر ، ولكن ادلر ١٩٧٢ يوضح بأن الصدمة الثقافية : وان كانت تحتوى على بعض مظاهر الأزمة النفسية : الا أنها تمثل خبرة تعليمية وثقافية ايجابية عميقة تثرى الشخصية الانسانية وتؤدى الى تطويرها لأبعاد قيمة : فهى تؤدى الى إعادة تقييم الشخص لثقافته والتعرف عليها بشكل أوضح وتقدير تأثيرها عليه : وتؤدى كذلك الى فهم القيم والمواقف والاتجاهات ووجهات النظر الموجودة لدى الشعوب الأخرى (٤٧) : ويؤكد شومان ١٩٧٦ بأن الصدمة الثقافية (ادراك الفروق بين الثقافتين وخاصة ما يتعلق بعادات وتقاليد المجتمع الصناعى مقابل المجتمعات التقليدية) تؤثر بالفعل على المتعلمين ويمكن أن تعوق عملية التعلم اللغوى (٤٨) .

ويشير قاردنر ولامبرت ١٩٦٧ ، ١٩٧٢ فى دراساتهم المشهورة حول أثر الحوافز والتوجهات فى اتقان اللغة الأجنبية الى المرحلة التى يمر بها متعلمو اللغة الأجنبية والتى تتصف بمشاعر عدم الاطمئنان والقلق والخوف وعدم الرضا : وهى مرحلة تحدث عند بداية تعلم اللغة والاحتكاك بثقافتها ، وتفيد نتائج دراساتهم بأن المشاعر فى هذه المرحلة تستمر وتكون فى أعلى مستويات حدتها عندما يبدأ الشخص فعليا باتقان اللغة الأجنبية (٤٩).

وتؤكد ميلادا دسمان Milada Disman ١٩٨٢ فى دراسة أجرتها على المهاجرين الى كندا الذين يتعلمون الانجليزية بأن المتعلمين لاينظرون الى الانجليزية بطريقة منفصلة عن تعلم الثقافة الكندية ، وقد استشهدت بالعديد من أحاديث وتأملات المهاجرين وسيرهن الذاتية حول تجربة الاغتراب ودللت على العلاقة بين اللغة والثقافة . كما استشهدت بدراسة قامت بها مارى أشوورت Mary Ashworth على عينة من معلمى اللغة الانجليزية كلغة أجنبية فى كندا حيث افادت أشوورت بأنها عندما سألت المعلمين عن أهم مشكلة تواجه متعلمى الانجليزية فى كندا أفاد أربعة من خمسة بأنها مشكلة التكيف مع الثقافة الجديدة :بينما واحد فقط من خمسة قال (تعلم اللغة) (٥٠) .

وهذا يوضح بجلاء ماللصدمة الثقافية من أثر فى تعلم اللغة الأجنبية فهى تضع الكثير من الضغوط النفسية والمعرفية على المتعلم لاستعمال اللغة والتعبير عن أحاسيسه ومشاعره لحفظ توازنه النفسى ومعالجة ما قد ينتابه من صراع فكرى وسلوكى نتيجة لالتقاء ثقافتين مختلفتين ، وعند قدرته على الصمود امام معطيات الصراع الثقافى ينتقل الى المرحلة الثالثة من التكيف والتى تعتبر مرحلة حاسمة بالنسبة للتعلم اللغوى .

وللتعرف على علاقة المرحلة الثالثة فى التكيف بالتعلم اللغوى نرجع الى الوصف الذى قدمه قاردنر ولامبرت ١٩٦٧ : ١٩٧٢ فى دراساتهم التى سبق الاشارة اليها حيث يتبين من عرض الحالات النفسية التى مر بها الطلاب فى الدراسات الى افتقاد الاستقرار النفسى بحيث تجد الطلاب يتحايلون للرجوع أو النكوص عن الحديث بالانجليزية ويميلون للبحث عن المواقف التى تبعدهم عن الاتصال ثقافيا بمتحدثى الفرنسية ، وهذه المشاعر قد تلائم التذبذب الذى يحصل فى المرحلة الثالثة : وهى تجسيد للأساليب والطرق وأنماط الدفاع عن الذات التى تبرز عند الشعور بالصدمة الثقافية والتعامل مع معطياتها .

وتعتبر المرحلة الثالثة كما أوضحنا مرحلة الشفاء التدريجى المؤقت والمتذبذب (وخاصة عن بدايتها) وتتمثل بصفة عامة فى ما وصفه لارسون Larson وسمالى

Smalley ١٩٧٢ بالضغط الثقافى Culture stress عند تعلم اللغة الأجنبية حيث تنتهى بعض مشاكل التثاقف بينما تبقى مشاكل أخرى لبعض الوقت : وتحدث عملية التكيف وتتقدم ولكنها تتم بشكل بطيئ (٥١) .

ويربط براون Brown ١٩٨٧ ربطا شيقا بين ما أسماه نور كايم ١٨٩٧ بظاهرة الاضطراب النفسى التى تحدث لمتعلم اللغة الأجنبية فى بداية تعلمه وبين الفترة التى يكون المتعلم فيها قد ابتعد قليلا عن الثقافة الأصلية ولكنه لم يصل الى درجة التكيف الكامل او الاندماج مع ثقافة اللغة الهدف (٥٢).

وقد نستطيع القول بأن هذه الظاهرة وفى مثل هذه الفترة بالذات ربما تمثل عرضا من أعراض بداية المرحلة الثالثة.

وتفيد نتائج دراسة وليام أكتون William Acton ١٩٧٩ حول علاقة تعلم اللغة الأجنبية بطول المكث فى ثقافتها الى وجود مرحلة وسطى يكون فيها المتعلم أنجح فى تعلم اللغة من أى مرحلة أخرى . حيث وجد الباحث أن الدارسين للغة الانجليزية كلغة أجنبية في الولايات المتحدة الامريكية والذين أمضوا أربعة أشهر فى الحياة الأمريكية منذ مجيئهم للدراسة هم أفضل الطلبة اجادة للغة الانجليزية : ويتميز هؤلاء المتعلمون بصفات نفسية واجتماعية متشابهة : وتقوم فكرة الاستبيان الذى صممه أكتون للوصول الى نتائجه ، على قياس مايعتقده متعلم اللغة من مسافة نفسية (الفروق فى الأفكار والمعتقدات والحكم على الأشياء) بينه وبين ثلاثة أشياء أو ثلاثة أبعاد . البعد الأول تقدير المتعلم للمسافة بينه وبين المجتمع الذى ينتمى اليه : والبعد الثانى تقديره للمسافة بينه وبين مجتمع اللغة الهدف : والبعد الثالث تقديره للمسافة بين المجتمع الذى ينتمى اليه ومجتمع اللغة الهدف ، أى هل نظرة المتعلم للأمور وحكمه على الأشياء مشابه أو قريب لما يعتقد أنه موجود لدى مجتمعه أو لدى المجتمع الذى يتعلم لغته ؟ واذا كان يعتقد بوجود مثل هذه الفروق ، فهل هى كبيرة ام صغيرة . وما علاقة ذلك باتقان اللغة الانجليزية ؟ وبعد الاجابة على الاستبيان الذى يعتمد على المعانى الضمنية للكلمات كمؤشرات للفهم الثقافى ، تفيد نتائج الدراسة أن المتعلمين الذين يرون أنهم قريبين جدا أو بعيدين جدا عن كل من الثقافة الامريكية أو ثقافتهم الأصلية يصنفون على أنهم أسوأ المتعلمين اجادة للأنجليزية (حسب اختبار متشيجان لاتقان اللغة الانجليزية) بينما المتعلمين الذين يرون ان هناك مسافة بينهم وبين كل من الثقافتين يصنفون على أنهم الأكثر نجاحا فى تعلم واتقان الانجليزية . وقد وجد أن هذه الفئة الأخيرة التى تقع فى منطقة وسطى من المسافة وتتميز بصفات نفسية واجتماعية متشابهة ، قد أمضت أربعة أشهر فى الحياة

الأمريكية منذ مجيئها للدراسة (٥٣) . وقد يكون فى ذلك اشارة الى نوع المتعلمين الذين يختارون أسلوب التكيف المتوازن حيث أوضحنا بأن مثل هؤلاء المتعلمين يميلون الى فهم ثقافة اللغة الهدف والتعامل معها بمرونة واستقلال مع حفظ للهوية الشخصية المتميزة .

ويقدم براون بقوة واقناع فرضيته المسماة بفرضية الفترة الحرجة التى تعتمد على معطيات ثقافية واجتماعية . وتتلخص فرضية الفترة الحرجة بأن الكبير (بغض النظر عن عمره) عند تعلمه للغة أجنبية فى ثقافتها يمر بفترة حرجة تعتبر أفضل الفرص للتعلم اللغوى الناجح : ويعتقد براون بأن سبب توفر هذه الفترة الحرجة هو مايمر به المتعلم من مراحل للتكيف : تعمل هذه المراحل على إفراز ظروف نفسية وضغوط عقلية ملائمة تساعد على التعلم والاتقان اللغوى ، ويربط براون هذه الفترة الحرجة بالمنطقة الوسطى من المسافة التى يتحدث عنها أكتون فى دراسته السابقة : ويؤكد أن هذه الفترة ما هى فى واقع الأمر سوى المرحلة الثالثة من مراحل التكيف : يرى براون : أن إتقان اللغة الأجنبية والمهارة فى اتصال عن طريقها وطلاقة الحديث بها (عند تعلم اللغة فى ثقافتها) يحدث فى وقت ماعند بداية المرحلة الثالثة من مراحل التكيف .

وبناء على هذه الفرضية يمكن القول بأن نجاح الاتقان اللغوى قد لا يحدث قبل بداية المرحلة الثالثة من التكيف : ويمكن القول أيضا بأن متعلمى اللغة الأجنبية قد لايحالفهم النجاح فى اتقان اللغة اذا انتقلوا من المرحلة الثالثة بدون أن يحدث التعلم الفعال .

إن المرحلة الثالثة من التكيف لاينظر اليها على اعتبار أنها البعد الاجتماعى النموذجى للتعلم اللغوى فقط بل باعتبارها تمثل المرحلة المعرفية المثلى والمرحلة النفسية النموذجية التى توفر أفضل الضغوط الضرورية للتعلم اللغوى ، وهذه الضغوط ليست شديدة للغاية (كما هو الحال فى المرحلة الثانية : مرحلة الصدمة الثقافية) ولكنها ليست خفيفة كذلك (كما هو الحال فى المرحلة الرابعة : مرحلة التكيف النهائى (٥٤) .

هذا فيما يتعلق بتعلم واتقان اللغة فى المرحلة الثالثة : أما بالنسبة للمرحلة الرابعة من التكيف فيبدو أن التعلم اللغوى أقل فاعلية وقلما يتم بنجاح فى هذه المرحلة ، ففى دراسات جون شومان John Schuymann حول المسافة الاجتماعية والمسافة النفسية وأثرها فى اكتساب اللغة تبين فى أحد الدراسات التى أجراها على شخص ايطالى يتعلم الانجليزية فى الولايات المتحدة الامريكية (١٩٧٦) أن المتعلم بعد أن عاش فى أمريكا فترة من الزمن وتكيف مع أساليب الحياة استمر فى عدم القدرة على اتقان الانجليزية

وظهر فى لغته الكثير من الأشكال المتحجرة الخاطئة التى انطبعت فى الذهن وأصبحت جزءا من سلوكه اللغوى (٥٥).

وقد تصدق نتائج هذه الدراسة على ما نلاحظه كثيرا من أخطاء لغوية كبيرة لدى كثير من العمالة الأجنبية الوافدة فى بلدة مثل المملكة العربية السعودية على سبيل المثال حيث يمر أغلب هؤلاء فى مراحل التكيف بدون توفر فرصة التعلم المنظم اللغة العربية مما يؤدى الى تطوير أشكال لغوية خاطئة تتحجر وتنطبع فى الأذهان ، فتجد أن الكثير من هؤلاء : حتى بعد مرور سنوات عديدة من الحياة فى المملكة ، يستمرون فى استعمال هذه الأشكال اللغوية الخاطئة مثل العبارات الشائعة (انا مايعرف) (انا فيه معلوم) (انت يروح بكره) ... الخ .

ويتضح من الأبحاث والدراسات التى قدمناها حول علاقة تعلم واتقان اللغة الأجنبية بمراحل التكيف الآتى :

١- ان السنة الأولى من الاغتراب وتعلم اللغة الأجنبية فى ثقافتها تمثل تجربة انفعالية مؤثرة تساعد وتحفز على التعلم والاكتساب اللغوى وتوفر ضغوطا نفسية ومعرفية لتحقيق ذلك .

٢-ان أغلب التعلم والاكتساب اللغوى للغة الأجنبية عند تعلمها فى ثقافتها يحدث فى غضون السنة الأولى من الاغتراب وذلك بسبب العلاقة القوية بين مراحل التكيف النفسى والاجتماعى التى يمر بها المتعلم عند حياته فى ثقافة اللغة التى يتعلمها وبين التعلم والاكتساب اللغوى .

٣- ؟أن المرحلة الثانية من مراحل التكيف (الصدمة الثقافية) هى أصعب المراحل من ناحية انفعالية وقد لاتساعد الضغوط النفسية المصاحبة لها على تحقيق التعلم والاكتساب اللغوى الفعال : بل قد تفشل وتعيق متابعة مهمة تعلم اللغة الأجنبية .

٤- أن المرحلة الثالثة تعتبر أهم وأفضل المراحل لتحقيق النجاح فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية : وذلك لأن هذه المرحلة تمثل نوعا من القلق الانفعالى والمعرفى الأمثل المطلوب لانتاج الضغوط الضرورية لتحقيق هذه المهمة التعليمية المعقدة، ذلك النوع من الضغوط الذى لايتسم بالشدة العالية (كالذى يحدث فى المرحلة الثانية) ولايتسم بالضعف الشديد (كالذى يحدث فى المرحلة الرابعة).

٥- ان تخطى المرحلة الثالثة الى الرابعة بدون تحقيق تعلم لغوى فعال ونجاح

واضح قد يؤدى الى عدم القدرة على اتقان اللغة الأجنبية البتة ، وذلك يعزى الى عدم تزامن التطورات الثقافية فى شخصية المتعلم مع التطورات اللغوية ، فالمتعلمون الذين طوروا أنوات غير لغوية فى تكيفهم مع ثقافة اللغة الأجنبية مروا خلال المرحلة الثالثة من التكيف الى الرابعة بكثير من الأخطاء اللغوية المتحجرة التى انطبعت فى الذهن وجعلت اتقان اللغة أمراًفى غاية الصعوبة ، والسبب فى ذلك يكمن فى ان المتعلم فقد الضغوط التى تولد الرغبة : ومن ثم القدرة المركبة والصبر والمثابرة على الحديث باللغة لأنه طور اشكالا وأساليب متنوعة من التعامل مع البيئة الثقافية الجديدة : أى انه أصبح يعبر عن الوظائف اللغوية بدون استعمال الأشكال اللغوية المناسبة .

النتائج المترتبة فيما يتعلق بطرق التدريس :

اوضحنا فيما سبق ما لمراحل التكيف التى يمر بها المتعلم عند تعلمه اللغة الأجنبية فى مجتمع اللغة الهدف من آثار قوية على التعلم اللغوى . والسؤال الأن هو : كيف يمكن الاستفادة من هذه المعطيات فى طرق تدريس اللغة الأجنبية ؟.

وللاجابة على هذا التساؤل نورد نتائج بعض الدراسات التى اهتمت بهذا الجانب وقدمت توصيات محددة فى هذا الاتجاه ، ونستهل ذلك بمقدمة عن الأهداف الثقافية لتعلم الأجنبية ، فقد وضع روبرت لافييت R. lafayette (١٩٨٧) مجموعة من الاهداف الثقافية نختصر أهمها في الآتى :

١- معرفة أبرز السمات التاريخية للدولة (او الدول) المرغوب تعلم لغتها .
٢- معرفة أهم الأحداث التاريخية لثقافة اللغة الأجنبية .
٣- معرفة أهم المعالم الجمالية الثقافية فى مجالات الفنون والآداب .. الخ .
٤- معرفة الانماط الثقافية الظاهرة للحياة اليومية (مثل أساليب التحية والأكل والتسوق)
٥- معرفة الأنماط الثقافية المختلفة (مثل تقاليد الزواج والتعليم والسياسة) .
٦- التعامل بطريقة مناسبة مع ظروف الحياة اليومية.
٧- استعمال الاشارات والحركات المناسبة فى التعامل الاجتماعى (معرفة المسلمات الثقافية).
٨- احترام تنوع الثقافات والشعوب (٥٦).

وتتنوع طرق التدريس التى توفر فرصا ملائمة لتحقيق الأهداف الثقافية لتعلم اللغة الأجنبية : فهناك قطع القراءة المختارة ذات المحتوى الثقافى أو الحوارات الثقافية والأفلام والألعاب المتنوعة والمواقف التدريبية على بعض الممارسات الثقافية .. الخ .

ولتخطى مشكلات الصدمة الثقافية يقدم دان هو Danhuo وبارسون Parsons (١٩٨٢) نتائج جيدة حصلوا عليها من استعمال أسلوب لعب الأدوار فى الفصل الدراسى : وعن طريق هذا الأسلوب يقوم المعلم بتصميم مواقف معينة ويعطى فيها المتعلمون أدوارا متنوعة لتمثيل شخصيات فى ثقافة اللغة الهدف : كزوار لمناسبة اجتماعية : أو زبائن لدى محل تجارى : أو عملاء فى بنك .. الخ : ويتم بناء على ذلك التعلم والتفاهم ، وقد أفادت الدراسة بأن أنشطة لعب الأدوار فى فصل تعليم اللغة الأجنبية يشجع على الحوارات الثقافية التى تدعم بدورها الفهم الثقافى وتقدم فرصة جيدة للاتصال اللغوى (٥٧).

وتقدم كرس جيمس Chris James (١٩٨٤م) العديد من المجالات لدعم عمليات التثاقف فى فصل تعليم الانجليزية كلغة أجنبية ومن أهمها مقارنة الثقافات مع بعضها البعض فى الفصل الدراسى واجراء المناقشات المقيدة (المحددة فى الاجابة على أسئلة معينة) والمناقشات المفتوحة (التى يتاح للطلاب فيها حرية النقاش) ، وتؤكد جيمس على أن احترام الطالب لنفسه وثقته بها تحسن من عملية الثقافة وتؤدى الى نجاح التعلم اللغوى ، وهذا يتم عن طريق تشجيع الطلاب على التعبير عن مشاعرهم الداخلية وتعزيز التعاون فيما بينهم على مباشرة التعلم واجراء الحوارات الثقافية داخل الفصل وخارجه (٥٨).

وتعدد جين جونستون Jean Johnston (١٩٨٣) الفوائد المتعددة التى يمكن أن يجنيها المتعلم من جراء الحياة مع عائلة فى ثقافة اللغة الهدف ، كما تؤكد على أهمية بعض الأنشطة التعليمية التى تمتد الى المجتمع خارج الفصل الدراسى مثل تكليف المتعلمين باجراء المقابلات ومسح الأراء حول قضايا معينة وجمع الأخبار من وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية وغيرها من مختلف أساليب جمع المعلومات (٥٩) .

وينبه نوستراند Nostrand (١٩٦٦) الى أهمية التعليم اللغوى المقنن الذى يقدم المحتوى الثقافى للغة الأجنبية على شكل جرعات مناسبة : وخاصة فى المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) بحيث يجهز المتعلم بالفروق بين الثقافتين بطريقة سهلة متدرجة ، ويعتقد بأن الفشل فى تقديم المادة الثقافية بهذه الطريقة سيؤثر سلبا على تعلم واتقان اللغة الأجنبية (٦٠) .

ويقترح براون Brown (١٩٨٧) فى اشارة صريحة الى كيفية تعامل المعلمين مع تقديم المادة اللغوية فى غضون مراحل التكيف الى اتباع أساليب محددة ، ففى المرحلة الأولى (التى أسميتها الانبهار) يتم الاعتماد أكثر على اللغة الاصلية للتعلم ، أو على الاقل جوانب كبيرة منها : وفى المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) يتم الاعتماد أكثر على المواد التعليمية التى تركز على الفروق بين الثقافتين : وفى المرحلة الثالثة (التكيف الجزئى) يبدأ التركيز المكثف على تقديم المادة اللغوية بحيث تتم الاستفادة من الظروف المعرفية والنفسية التى يمر بها المتعلم والتى تعتبر الظروف المثلى لقابلية التعلم والاتقان اللغوى (٦١).

وقد أكدت نصائح الباحثين والمعلمين بأن تحقيق هذه الأهداف لابد أن يصحبه احترام للمتعلم ولثقافته (جاراميلوJaramillo ١٩٧٣ : بيجن Begin ١٩٧١ : ستيفك Ste-vick ١٩٧٥) وعدم فرض التوجه الاندماجى مع ثقافة اللغة الهدف لما لذلك من أثر على اختلال توازن شخصية المتعلم : وخلق الصراعات الداخلية لديه مما قد يفشل التعلم ويبعد عن تحقيق الأهداف الوظيفية التى من أجلها شرع المتعلم فى مهمة تعلم اللغة الأجنبية ، كما يؤكد الكثير من المربيين على قضية مهمة فى هذا المجال ، فبالرغم مما لتعلم النواحى الثقافية من أهمية عند تعلم لغة أجنبية : إلا أن الهدف الأساسى من التعلم اللغوى يجب أن يكون لتشكيل ثنائية لغوية وليس ثنائية ثقافية (٦٢) .

وتركز بعض الدراسات على أهمية الدور الذى يلعبه المعلم عند تعليم المحتوى الثقافى للغة : وأهمية إشعار المتعلمين بالاحترام والتشجيع مهما تكن الفروق الثقافية بين المعلم والمتعلم وتقديم الثقافة للمتعلمين على أنها مختلفة وهذا لايعنى أنها أفضل : بل يكون الهدف تنمية الإحساس بالفروق الثقافية بين ثقافة المتعلم وثقافة اللغة الهدف ومعرفة هذه الفروق لتسهيل عمليات التعامل والاتصال (٦٣) ، كما نبه بعض الباحثين إلى الابتعاد عن دراسة أو مناقشة الأحداث التاريخية أو العلاقات الحساسة بين الثقافتين بحيث لايؤثر ذلك على الدافع للتعلم أو يطور مشاعر سلبية تجاه تعلم وتعليم اللغة الأجنبية (٦٤) .

واخيرا لابد من الاشارة الى قضية مهمة وهى أن الأساليب والاستراتيجيات وطرق التدريس التى تحدثنا عنها تمثل أدوات تعليمية قيمة عند الحديث عن دعم وتعزيز عملية تعليم اللغة الأجنبية فى غضون المرور بمراحل التكيف : ولكن هذه الأدوات التعليمية القيمة لاتمنع حدوث مراحل التكيف ولكنها تستفيد من هذه الظاهرة الانسانية وتسخرها لتحقيق تعلم لغوى أفضل ، ومن العبث أن يدعى أحد أن بامكانه منع حدوث

الصدمة الثقافية عن طريق استعمال بعض التحصينات الوجدانية ولكن يمكن للمعلمين لعب دور علاجي لمساعدة الطلاب في اجتياز مراحل التكيف واستثمارها في التعلم والاتقان اللغوي ٠

الخاتمة :

تهدف هذه الدراسة الى الاجابة عن الاسئلة الأربع الآتية :

١- ماأثر الجانب الانفعالي في شخصية المتعلم على تعلم اللغة الأجنبية واتقانها ؟

٢- لماذا يحقق تعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية وفي الموطن الأصلي لمتحدثيها نتائج ايجابية أكثر من النتائج التي يمكن ان تتحقق خارج هذه الاطار ؟

٣- مانوع العلاقة بين مراحل التكيف النفسي والاجتماعي التي يمر بها المتعلم في معايشته ثقافة جديدة وبين تعلم لغة هذه الثقافة الأجنبية واتقانها ؟

٤- ما هي التوجهات التربوية وطرق التدريس الملائمة التي تساعد على تحفيز الجانب الانفعالي لدى المتعلم، وخاصة في فترة الاغتراب ، لتعزيز عملية التعلم اللغوي ؟

وقد قدمت الدراسة تحليلاً مفصلاً للاجابة عن كل سؤال على حدة : فالاجابة عن السؤال الأول المتعلق بأثر الجانب الانفعالي على تعلم واتقان اللغة الأجنبية تؤكد أهمية هذا الجانب وأثره الفعال في تحقيق النجاح اللغوي وذلك لما لهذا الجانب من دور كبير في تحفيز المتعلم ودفعه نحو تحقيق تعلم واكتساب اللغة الأجنبية ، وقد أيد هذه الحقيقة مجموعة الدراسات والأبحاث التي تم استعراضها في مجال علم اللغة الاجتماعي ، مثل دراسة الظواهر الثقافية الاجتماعية كالمسافة الاجتماعية والمسافة النفسية والاتجاهات والميول والحوافز ، كما أيد هذه الحقيقة تلك الدراسات والأبحاث التي تم استعراضها في مجال علم اللغة النفسي كالنظرة للذات والانبساط والعدوانية والمشاركة الوجدانية.

والاجابة عن السؤال الثاني المتعلق بأفضلية تعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية وفي الموطن الأصلي لمتحدثيها توضح بجلاء دور التثاقف وأهميته البالغة في التعلم والاكتساب اللغوي ، فعن طريق هذا التثاقف وما ينتج عنه من مراحل تكيف نفسي واجتماعي تتهيأ الضغوط المثلى للتعلم مما يجعل لتعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية : غالبا : نتائج ايجابية أكثر من تلك التي يمكن الحصول عليها خارج هذا المحتوى ٠

وتقدم لنا الاجابة على السؤال الثالث معالجة تفصيلية لطبيعة العلاقة بين مراحل

التكيف النفسى والاجتماعى التى يمر بها المتعلم عند اغترابه وبين تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، فالعلاقة بين المراحل والتعلم اللغوى قوية للغاية : ففى المرحلة الأولى من التكيف (مرحلة الانبهار) تشكل الأرضية الملائمة لتحفيز المتعلم على تعلم واكتساب اللغة الأجنبية ، وفى المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) يكون الجانب الانفعالى فى شخصية المتعلم فى ذروته مما يؤدى الى بعض الضغوط النفسية الحادة المصاحبة التى قد لاتساعد على تحقيق التعلم والاكتساب اللغوى الفعال ، وفى المرحلة الثالثة (التكيف الجزئى) تتوفر الظروف الثقافية المثلى ويوجد نوع من القلق الانفعالى والمعرفى الأمثل (ليس بالحاد وليس بالخفيف) المطلوب لانتاج الضغوط الضرورية لتحقيق النجاح فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، وفى المرحلة الرابعة (التكيف النهائى) تكون حوافز التعلم ضعيفة والضغوط النفسية المطلوبة لمواصلة مهمة التعلم اللغوى خفيفة أيضا مما يجعل من الصعب تحقيق تعلم أو اكتساب لغوى فعال .

وأخيرا أجبنا على السؤال الأخير المتعلق بطرق التدريس الملائمة التى تساعد على تحفيز الجانب الانفعالى بايراد العديد من الدراسات التى تناولت هذا الجانب وقدمت توصيات محددة لتعزيز عملية التعلم والاكتساب اللغوى .

الهوامش

١ - ابراهيم بن حمد القعيد ، " مشكلات التكيف للطلاب الأجانب في المؤسسات التعليمية الغربية " مجلة جامعة الملك سعود ، م ، العلوم التربية (١) (١٤١٠هـ/١٩٩٠) ص ص ٢١٧ - ٢٤٠ .

2 - Ernest Hilgard ,"motivation in Learning Theory "Psychology : A Study of Science ,ed.S . 5 (New York :McGraw Hill Book Co. 1983) P.265.

3 - David Krathwol ,Bloom,Banjamin and Masia ,Taxonomy of Educational Objectives (New york:David McKay Co.,1964) PP.95-185 .

4 - Kenneth Pike ,Language in Relation to a Uni fied Theory of the stracture of Human Behavior (The Hague :Mouton Publishers, 1967) P.26 .

5 - John Schuman ,"Social Distance as a Factor in Second Language Acquisition "Language Learning V.26 (1976)PP.135-143 .

6 - William Acton,"Second Language Learning and Perception of Difference in Attitude " (Unpublished Doctoral Dissertation,University of Michigan 1979) .

7 - John Schumann ,"Social Distance as a Factor.....,"P.141 .

8 - William Acton ,"Second Language Learning ..,"

9 - R.C.Gardner and W.E .Lambert ,"Motivational Variables in Second Language Acquisition "Canadian Journal of Psychology V. 32 (1966) PP.24-44 .

10 - Glyn E.Lewis and Carolyn E.Massad,The Teaching of English as a Foregin Language in Ten Countries (Almquist and Wiksell International ,Stockholm ,Sweden) P 155 .

11 - William Acton ,"Second Language Learning ...,"P.70 .

12 - Stanely Coopersmith ,The Antecedents of Self-Esteem (San Francisco:W.H.Freeman and Co.1967)PP.4-5 .

13 - Abraham Maslow ,Motivation and Personality ; 2nd ed .(New York :Harper and Row 1970) .

14 - Carl,Roger ,Freedom to Learn (New York :Delacount Press ,Inc .1977) .

15 - Adelaide Heyde ,"The Relationship between Self-esteem and the Oral Production of a Second Language (Unpublished Doctoral Dissertation,University of Michigan 1979).

16 - Moskcwitz Gertrude ,Caring and Sharing in the Foregin Language Class (Rowley Mass.Newbury House Publishers Inc.1978).
17 - Deborah Busch ,"Introversion -extraversion and the EFL Proficiency of Japanese Students ,"Language Learning No .32 (1982) PP.109-132 .
18 - Douglas Brown ,Principles of Language Learning and Teaching Sec.ed .(Englewood Cliffs,N.J.Prentice Hill Inc.1987)P.104 .
19 - Doob J.Dollared et al ,Frustration and Aggression (New Haven Conn.Yale University Press 1939)P.9.
20 - Paul La Forge," Community Language Learning : A Pilot Study ." Language Learning NO.21 (1971)PP.45-61 .
21 - Douglas Brown,Principles of Language .,P.112 .
22 - Ibid,P .115 .
23 - Alexander Z. Guiora,et al ,"Empathy and Second Language Learning ."Language Learning No.22 (1972 B0PP.111-130 .
24 - Ibid., P.120 .
25 - Louise S .Spindler (ed),Culture Change and Modernization (Holt, Rinchort and Winston M.Y .1977) P.31 .
26 - Ibid .,P.31 .
27 - John Berry ,"Acculturation asd Varities of Adaptation ." Acculuration :Theory ,Models and Some News Findings .Amado Padilla (ed.) (Westiview Press ,Boulder ,Colorado 1980) P.7 .
28 - Ibid .,P.8 .
29 - Ibid .,P.8 .
30 - Suzan Keefe ,"Acculturation and the Extended Family"Acculturation :Theory ,Models and Some New Findings.Amado Padilla (ed) (Wesview Press ,Boulder ,Colorado 1980) ,P.23 .
31 - John Berry ,"Acculturation as Varieties ..." P14 .
32 - Ibid .,P.16 .
33 - W.Sewell and Oulf Davidson ,Scandinavian Students in an American University (University of Minnesota Press, Minneapolis ,1961).
34 - Ibid., P.41 .
35 - Cora Du Bois ,Foregin Students and Higher Education in the United State (American Council on Education ,Washington ,D.C.1956).
36 - Mark Klarke,"Clash of Consciousness "Language Learning V .26

(1976) P377-390 .
37 - Peter Adeler,"Culture Shook and the Cross Culture Learning Experience "Reading in Intercultural Education (Intercultural Communication Netwark,1972) P.8 .
38 - Douglas Brown ,"The Optimal Distance Model of Second Language Acquisition "TOSEL V.2 (1980)PP.157-164 .
39 - Szapoeznik ,et al.,"Biculturalism and Adjustment " Acculturation : Theory ,Models and Some New Findings .Amado Padilla (ed.) (Wesview Press Boulder ,Colorado 1980).
٤٠ – مجلة المبتعث ، المجلد السادس ، العدد الرابع ، محرم ١٤٠٤هـ – مجلة طلابية تصدرها الملحقية الثقافية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية) هيوستن تكساس) ص ٢٠ .
41 - Doglas Brown ,"The Optimal Distance ..."P.158 .
42 - Ibid .,P159 .
43 - Sally Mettler ,"Acculturation ,Communication ,Apprehension and Language Acquisition "Community Review V.8 (Falll 987) PP 5-15 .
44 - Mark Klarke ,"Clash of Consciouness" PP.377-390 .
45 - Alexander Guiora et al "Empathy and Second Language Learning " PP .111-130 .
46 - Mark Klarka ,"Clash of Consciouness "PP.377-390 .
47 - Peter Alder ,"Culture Shock ..."P .8.
48 - John,Schumann ,"Social Distance ..."PP 135-143 .
49 - Robert Gardener and Wallace Lambert ,Attitudes and Motivation in Second Language Learning (Rowely ,MA : Newbury House Publishers ,1972) .
50 - Milada Disman , "ESL and a new Culture " TESL Talk V .13 No. 3 (Sum .1982) PP.71-82 .
51 - Donald Larson and William Smalley ,Becoming Bilingual : A Guide to Language Learning (New Canaan ,Conn .Practical Anthropology , 1972) .
52 - Doglas Brown ,Principles of Language Learning ....P .130 .
53 - William Acton ,"Second Language ..."
54 - Doglas Brown ,"The Optimal Distance Model ..."P .161 .
55 - John Schumann ,"Social Distance ..."
56 - Rober C .Lafayette ,Teaching Culture : Strategies and Techniques

(Arlington ,Virginia : Center for Applied Linguistics ,June 1987) .
57 - Meghan Donahue and Parsons ,"The Use of Role Play to Overcome Culture Fatigue " TESOL Quarterly No .16 (1982) PP .359-365 .
58 - Chris James ,"Curriculum Across Canada : Acculturation in ESL Curriculum " English Quarterly (Winter 1984) PP .37 -46 .
59 - Jean Johnston ,"Being Their " Paper presented at the Annual Convention of Teachers of E .to Speakers of Other Languages ,No .16 (May 1-6 1982) Honolulu ,HI .
60 - Haward Nostrand ,"Describing and Teaching the Socio-Cultural Context of a Foregin Language and Literature " Trends in Language Teaching Albert Valdman (ed) (New York : McGraw Hill Book Co .1966) .
61 - Doglas Brown "The Optimal Distance ...."P .158 .
62 - Cem Alpekin ," Target Language Acquisition Through Acculturation " Canadian Modern Langyage Review V .39 No .4 (May 1983) pp .818-26 .
63 - Mary Finocchiaro ,"The Crucial Variable in TESOL :The Teacher " The Human Factors in ESL (ed) James E .Alatis and Ruth Crymes (TESOL Washington D .C .1977) .
64 - Cem Alptekin ,"Target Language Acquisition ..."